المظاهر الحضارية لمملكة نباتا (747 ق.م _ 653 ق.م)

Civilizational Aspects of the Kingdom of Napata (747 BC–653 BC)

بن موفق بومدين

جامعة الجزائر -2-(الجزائر)

boumedienbenmoufak@gmail.com

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/02/17
تاريخ القبول:2022/06/14

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

إن بلاد النوبة كان لها أثر مباشر على ازدهار المجال الاقتصادي و الديني في مصر سواء قبل وأثناء حكم الأسرة الكوشية الخامسة والعشرين، نظرا لما قدمته لها من دعم مادي وبشرى ، كان له تأثير مباشرة على مصر، ويظهر ذلك من خلال مظاهر الحياة الاقتصادية والدينية ، ويتضح ذلك من خلال المخلفات الأثرية سواء في مصر أم في النوبة، وستحاول الدراسة أن تلقي بعض الضوء على أهم مظاهر الإسهامات المختلفة في تلك الفترة.

الكلمات المفتاحية: مملكة نباتا – المظاهر الاقتصادية –الحياة الدينية – الأسرة الخامسة و العشرين- كوش

ABSTRACT

Whether before or during the rule of the twenty-fifth Kushite dynasty, Nubia had a direct impact on the prosperity of the economic and religious spheres in Egypt. This was due to the material and human support of Nubia, which had a direct impact on Egypt. It appeared through the manifestations of economic and religious life that were seen from archaeological remains, whether in Egypt or in Nubia. Therefore, this study will attempt to shed light on the most important aspects of the various contributions made during that period.

Keywords: Kingdom of Napata - Economic aspects- Religious life - The twenty-fifth dynasty. Kush

المظاهر الحضارية لمملكة نباتا (747 ق.م _ 653 ق.م)

بن موفق بومدين

1. مقدمة:

إن السياسة الاستيطانية التي انتهجتها مصر في بلاد النوبة ، حرك النزعة الوطنية للكوشيين بعد ما أدركوا قيمة الموارد الطبيعية التي تسخر بها بلادهم ،فاستغلوا الفوضى الاضطرابات الداخلية التي مرت بها مصر خلال حكم الأسرة الثانية والعشرين والثالثة و العشرين، حيث نجح أحد أمراء المحليين في إقامة مملكة كوش الثانية من جديد عاصمتها نباتا يمتد حكمها إلى مصر مؤسسة أسرة جديدة عرفت بالأسرة الخامسة والعشرين تاركة مظاهر حضارية (الاقتصادية و دينية) في تاريخ النوبة و مصر.

تكمن أهمية هذه الدراسة في إبراز المظاهر الحضارية لمملكة نباتا خاصة الاقتصادية و الدينية و التي كان لها في حماية الحضارة المصرية من سقوط اثر السوء الأوضاع الاجتماعية الناجمة من تدهور الأحوال السياسية و الاقتصادية ، كما كان لها الفضل في حماية عقيد الإله آمون من الاندثار ، وبما أنهم طالما اعتبر ملوك كوش أنفسهم خلفاء لملوك مصر في الحكم و كذا حماة العقيدة الدينية لمصرية القديمة .

وهنا نطرح الإشكالية الآتي :فيما تمثلت المظاهر الاقتصادية و الدينية و الفنية لمملكة نباتا التي امتدت حدودها من النوبة العليا لإلى البحر المتوسط ؟

و بخصوص المنهج المتبع لدراسة هذا الموضوع اعتمدت على المنهج التاريخي و ذلك بسرد الحدث ووصف الواقعة التاريخية وكذلك المنهج المقارن و ذلك بمقارنة الأحداث التاريخية و المظاهر الدينية و الاقتصادية وكذلك منهج دراسة الحالة:وهذا من خلال أخذ عينات أنموذجية لدراسة بعض الظواهر الاقتصادية والدينية و الثقافية.

1 2.التسمية:

يعود اسم كوش إلى كلمة كس و كاس و كاش ، و لكن كما هو معروف أن استخدام لفظ كوش يرجع إلى عهد الدولة الوسطى عندما ظهر كمسمى يطلق على إحدى الأقاليم النوبية في لوحة فلورنسا أما الوثائق الفترة التي تلتها التي تعرف بفترة الاضمحلال الثانية فقد ارتبط الاسم كوش بمملكة كرمة 2500-1450 ق.م إلا أن المؤرخين فضلوا اسم كرمة على الاسم التاريخي كوش باعتبارها عاصمة أو مركز الرئيسي لهم ، و ظل اسم كرمة يردد في الوثائق المصرية أيام الدولة الحديثة، يطلق على بلاد النوبة العليا التي تمتد من الشلال الثالث إلى الخامس، كما ذكر اسم كوش مرتين في التوراة مرتبطا باسم الملك طهرقا ، و ورد أيضا في الوثائق الأشورية أن طهرقا ملك كوش ، و في الكتابات التاريخية الحديثة باسم مملكة نباتا(السيد ع.، 2016 ، صفحة 9،10).

و هي المدينة التي ذكرتها الوثائق المصرية في عهد الملك أمنحوتب الثاني(1427-1400 ق.م) بالمدينة المحصنة تقع في أقصى الجنوب من حدودها الجنوبية ، وشيدت بها المعابد و القصور وبلغت ذروة مجدها في القرن الثامن قبل الميلاد، عندما أصبحت عاصمة لمملكة كوش الثانية (مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسر الحادية والثلاثيين مصر والشرق الأدنى القديم، 1988، صفحة 316).

2 موقع نباتا :

تقع نبته في بلاد النوبة العليا على الضفة الشرقية للنيل شمال الجندل الرابع، بالقرب من جبل البركل جنوبي كرمة (مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسر الحادية والثلاثيين مصر والشرق الأدنى القديم، 1988، صفحة 589)، الذي اعتبرته النصوص المصرية جبلاً مقدسًا للإله آمون (صالح، 2004، صفحة 413). ومن المعلوم أنه ابتداء من عصر الأسرة الثانية عشرة بدأت عبادة الإله آمون تنتشر في بلاد النوبة و بشكل واسع في عصر ملوك الدولة الحديثة الذين اهتموا كثيرا بإرسال بعثات من الكهنة لتسيير المعابد التي تم تشييدها بغرض نشر عبادة الآلهة المصرية و على رأسهم الإله آمون (الجمل، 1999، صفحة 124) ،وبما أن هذه المنطقة كانت مصرية في طابعها الديني والثقافي، وهذا راجع إلى سياسية تمصير بلاد النوبة في عصر الدولة الحديثة ، لذلك فإن كهنة آمون عندما هاجروا في عهد الأسرة الواحد و العشرون إلى بلاد النوبة، ولم يجدوا إلا الترحاب و الاستقبال من قبل أهلها خاصة أنهم قادمون من طيبة المركز الديني للإله آمون، و يعود الفضل في ذلك إلى سياسة ملوك الدولة الحديثة التي هيئت لهم منطقة متشبعة بالحضارة المصرية (مسعد، 1960 ، صفحة 23).ويبدو أن اختيار موقع نبته كعاصمة نظرا لموقعها الذي جعل منها محطة تجارية تربط بين بلاد بونت (الصومال) و جنوب شبه الجزيرة العربية و مصر في الشمال (ميخائيل، 1966، صفحة 343).

3–أسباب هجرة الكهنة:

يبدو أن هؤلاء الكهنة قد هاجروا إلى نبتة مرغمين نتيجة لعدة أسباب منها: الثورة الدينية للملك إخناتون التي أدت إلى تضييق الخناق عليهم لدرجة جعلتهم يتنازلون عن الكثير من الثروات التي كانت تأتيهم من معابد آمون (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 139) ، أما السبب الثاني يعود إلى السرقة والاعتداء على المقابر الملكية التي حدثت في عصر الأسرة الحادية والعشرين، مما أدى إلى توقف الطقوس الدينية للكهنة، لهذا فضلوا هجر طيبة والانتقال إلى التوبة حيث الأمان والمعابد التي يمكن أن يمارسوا فيها شعائرهم الدينية دون رقيب أو حسيب (الجمل، 1999، صفحة 123). يضاف إلى ذلك الأوضاع الداخلية المتردية التي حلت بمصر، من خلال الثورات المتتالية و ضعف سلطة الملوك وقويت شوكة حكام الأقاليم أدى إلى انقسام البلاد، و تأسيس بادي باست الأسرة الثالثة و العشرين معاصر للأسرة الثانية و العشرين ،فتجزئة السلطة داخل الدولة الواحدة أدى إلى تمزقها و انهيارها حوالي 1069 ق.م ، كلها أسباب مهدت الطريق لظهور أسرة قوية تدين بعقيدة الإله المصري آمون عاصمتها في نبته (فانديه، د.ت، صفحة 586).

4–أصل ملوك الأسرة الكوشية:

إن موضوع البحث في أصل ملوك مملكة نباتا منذ حوالي 750 حتى 656 ق.م موضوع جدير بالاهتمام ، لأنه يمثل حلقة من ابرز الحلقات تاريخ بلاد النوبة ، وقد توالت على حكم مصر في التاريخ القديم حوالي ثلاثون أسرة، انحدر بعض ملوكها من أصول غير مصرية، كانت ليبية أو كوشية (السيد ع.، 2016 ، صفحة 95) و لا تزال أصول هذه الأسرة محل جدل، بسبب قلة المادة العلمية جعل الباحثين يطرحون احتمالاتهم حسب دراستهم للأدلة المتاحة لكل منهم ، لهذا تعددت الآراء حول أصل هذه الأسرة ، فهناك نظرية تنادي بالأصل المصري، في حين ويرجح آخرون نظرية الأصل الليبي، بينما الدراسات الحديثة تري بأنهم ينتمون إلى أصول محلية (نوبية). وقد اعتمدت هذه النظريات في تحليلها لهذه الآراء على دراسة المخلفات الأثرية التي تركها ملوكها، وتتلخص تلك النظريات فيما يلي (السيد ر.، 2001 ، صفحة 327).

1.4 نظرية الأصل المصري :

تعتقد بأن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ينحدرون من نسل كهنة الإله آمون في طيبة الذين هاجروا إلى الجنوب زمن الأسرة الثانية والعشرين الليبية خاصة بعد تولى شيشنق الأول العرش (الله ف.، 1968 ، صفحة 72) ، وتستند هذه النظرية على الآثار والنقوش التي تعكس الطابع الحضاري المصري مثل لوح النصر تملك بيا (بعنخي)، ومسلة تاتيس لتهارقا (الله س.، 1999 ، صفحة 318) ، وعلي انتشار عقيدة الإله آمون باعتباره رب الآلهة في بلاد النوبة (عصفور، د.ت، صفحة 207). بالإضافة إلى التشابه في أسماء بعض ملوك نبته مع ملوك مصر مثل تطابق اسم يا بعنخي حاكم الأسرة الخامسة والعشرين مع اسم بعنخي بن حويحور أحد كبار كهنة أمون أيام الأسرة الحادية والعشرين (يوبوت، 1966، صفحة 171). لكن هذا لا يعني أن ملوك نباتا ينحدرون من أصول مصرية.

خاصة أن الدراسات الأثرية التي أجريت على مقابر الكرو فندت رأي هذه النظرية ، لأن التقاليد الدينية أنها لا تسمح بدفن ملوك الفراعنة خارج مصر. وهذا ما تؤكده مثلا رواية سبني من الأسرة السادسة عندما توفي والده في أرض أجنبية، إلا أنه أصر وبشدة على دفنه في أرض مصرية لإجراء مراسيم دفنه حسب التقاليد المصرية حتى لا يفقد فرصته في الحياة الأخرى (الله س.، 1999 ، صفحة 137) .

و هناك قصة أخرى مشابهة لها ، وهي قصة العجوز سنوهي الذي خاطب الملك سنوسرت يبن له تخوفه من الموت في أرض أجنبية، و يدفن دون إجراء المراسيم فقرر الرجوع لمصر لكي يدفن على الطريقة المحلية (عصفور، د.ت، صفحة 140) ، و هذا حسب نص مقولته "ليت جسمي يعود إلى شبابه لأن الشيخوخة قد واتت وحل بي الضعف، لقد ثقلت عيناي وضعف ذراعاي وأصبح الموت قريبا مني. وفي قول آخر "يا رب هل قدرت لي أن أريي القطر الذي أحبه، فلا شئ أعظم عندي من أن أقبر في الأرض التي ولدت فيها ..."(سليم، 1991 ، صفحة 319). إذن دفن المصريين في قبور خارج أرضهم لم تكن من عادات المصريين، بينما المقابر الملكية الخاصة بملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي تم العثور عليها في الكرو تؤكد بأنها لملوك ذوي أصول محلية متأثرين بالثقافة المصرية الناجمة عن سياسة تمصير بلاد النوبة أيام حكم ملوك الدولة الحديثة .

2.4– نظرية الأصل الليبي :

يفترض أصحاب هذه النظرية أن ملوك نباتا ينحدرون من أصول ليبية مثل الأسرة الليبية التي حكمت مصر أيام الأسرة الثانية والعشرين.مستندة في ذلك على دراسات الأثرية و تاريخية مصرية (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 124).

فالدراسات التاريخية ترى بأن القبائل الليبية الشمالية هاجروا إلى الدلتا ومصر الوسطى ، بينما الليبيين الجنوبيين (التمحو) بهجرة نحو الجنوب سلكوا فيها طريق الواحات حتى وصلوا إلى كوش أثناء فترة حكم شيشنق الأول (حسن، 2001، صفحة 471). لكن هذا الدليل يبدو ضعيفا، لأن دراسات الأثرية لم تكشف سلفا أن النوبة بعد عهد الأسرة

العشرين قد انعزلت عن العالم الخارجي ، إلا إذا استثنيت الحملة التي قادها الملك شيشنق الأول ضدها (مهران، مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسر الحادية والثلاثيين مصر والشرق الأدنى القديم، 1988، صفحة 591).

أما بالنسبة لدليل الأثري فيأتي من خلال ما تم العثور عليه في القبور داخل جبانة الكرو من رؤوس سهام مجنحة تشبه السهام الليبية، و يظل هذا الرأي ضعيف ، لأن عدد رؤوس السهام الليبية في مقابر الكرو أقل من السهام الكوشية (بكر م.، 1983، صفحة 67) ، كما هذا لا يعني أن المدفونين داخل هذه القبور بضرورة ينحدرون من أصل ليبي،وتستند هذه نظرية أيضا على لوحة الملكة تابيري التي حملت لقب سيدة الصحراء (Holscher, 1937 , p. 116) ، وفي رأي أخر سيدة التمحو أي الليبيين الجنوبيين. وهو لقب ملكي تحمله ملكة أخرى غيرها من ملكات الأسرة الخامسة والعشرين. وبناء على هذا اللقب أعتقد البعض أنهم وجدوا دليلا يؤكد نظرية الأصل الليبي لهذه الأسرة (السيد ع.، 2016 ، صفحة 100) ، غير أن هناك من يعترض على هذا اللقب بسبب الخطأ في قراءته (بكر م.، 1983، صفحة 95). ويبقى الاحتمال الأخير أن أصلهم محلي.

3.4– نظرية الأصل المحلي (النوبي):

لو تتبع الفرد سيرة هذه الأسرة من خلال اسمها يجد أصولها المحلية دون شك ، خاصة أن الاكتشافات الأثرية المتمثلة للمقابر في الكرو قد أمدت بمعلومات حول أصل هذه الأسرة معتمدة على مجموعة أدلة منها الملامح الزنجية لأمراء هذا البيت، وطريقة اختيار الملوك، ودور أمهاتهم في الحكم و تقاليد الدفن و شكل المقابر المستديرة التي تعود إلى زمن حضارة كوش الأولى (كرمة) (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 142).إضافة إلى طبيعة انتقال الحكم في مملكة كوش من الأخ الأكبر إلى الأصغر أي الأكبر في العائلة الحاكمة. وهذا النظام يختلف عن باقي الدول العالم القدم (السيد ع.، 2016 ، صفحة 106).

كما أن طريقة دفن الميت على سرير، وبناء القبر المستدير، من الأدلة التي تؤكد الأصل المحلي لهذه الأسرة ، خاصة وأن هذه الطريقة كانت معروفة في النوبة منذ ارتبطتا حضارة كرمة (كوش الأولى). وتمسك هؤلاء القوم بتقاليدهم رغم التأثير الحضارة المصرية (الله س.، 1999 ، صفحة 313).

5–قيام مملكة نبتة :

بعد أن فقدت مصر بفعل المتغيرات الداخلية و الخارجية في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد قبضتها على بلاد النوبة ، حيث آلت الأوضاع في مصر إلى تأزم الحالة الاقتصادية و الاجتماعية بسبب انقسام الدولة إلى عدة أقاليم سياسية مستقلة عن بعضها ، في تلك الظروف التي تمر بها مصر كانت بلاد النوبة تشهد نشأة مملكة نباتا في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد كدولة دينية يدين ملوكها بعقيدة الإله آمون . يعود الفضل في اكتشاف معالمها إلى العالم الأمريكي رايزنر، صحح الكثير من المعلومات عن تاريخ السياسي و الحضاري لمملكة نباتا (لكلان، 1985، صفحة 281).

يضاف إلى ذلك فإن كهنة آمون في معبده بجبل البركل ازدادت قوتهم في الوقت الذي كانت فيه مصر تعاني من الضعف السياسي، و قد بات في حكم المؤكد أن زعيم آلارا الذي يعد مؤسس مملكة نباتا و مفخرة ملوك كوش بالانتماء إليه ،و حدد الباحثون فترة مملكة نباتا التي استطاعت أن تحكم وادي النيل كله، ابتدءا من بحكم الملك كاشتا (حوالي

760ق.م) وتنتهي بحكم الملك تانوت أماني (حوالي 664- 653 ق.م). وهي الفترة التاريخية التي اتفقت حولها الدراسات الأثرية ، ومع ذلك فقد استمرت أكثر من مائة عام (مسعود، 2008، صفحة 85).

وترجح الدراسات التاريخية بأن نباتا تأسست من قبل أسرة حاكمة من أصول محلية، أن أول ملوك هذه الأسرة آلارا (حوالي 780-760 ق.م) ، الذي عمل على تأسيس المملكة و توحيد المملكة، وهو من مهد الطريق لعودة الحيوية إلى عبادة آمون في بلاد كوش عقب نهاية الدولة الحديثة، وهذا يؤكد مدى تدين هذا الملك والسلوك الطيب الذي يتمتع فيما يتعلق بالمعبود آمون الذي اتخذته الأسرة معبودة لها أيام ازدهار الحضارة الفرعونية في طيبة.

غير أن خليفته كاشتا (حوالي 760 - 751 ق.م) حسب تحليل أحد الباحثين أن اسمه يعني الكوشي. و تعتبره بعض الدراسات الأثرية أنه من أوائل الملوك الذين غزو مصر (الله م.، 1987، صفحة 65) ، من أجل الإله آمون و حماية عقيدته لذلك كان من الطبيعي أن يجد الإكرام و الاحتفاء من كهنة آمون في طيبة بمثل ما وجد ذلك من كهنته في نباتا فقد نجح في مد حدود كوش شمالا حتى أسوان (الحدود الجنوبية لمصر وقتها)، كما أدعى لنفسه لقب ملك مصر السفلي والعليا" (جريمال، 1993، صفحة 433) ، كما أنه أجبر أوسركون الثالث بن تكلوت الثاني (حوالي787-764ق.م) كبير كهنة آمون و قائد العام للجيش وحاكم الجنوب على الفرار من طيبة، و لعل نجاح الملك كاشتا من بسط النفوذ الكوشي من التوسع شمالا حتى وصل طيبة دفعه إلى تدعيم قواته بالمزيد من الجند و العتاد لتحقيق غايته التوسعية على حساب مصر التي تعيش اضطرابات سياسية و اجتماعية (Henry, 1945, p. 534) ،هذا بالإضافة إلى سيطرته على الطرق التجارية التي تربط بلاد كوش بمصر، و كذلك سيطرته على مناجم الذهب بالصحراء الشرقية .

توفي كاشتا حوالي عام 751 ق.م، وكان يتحكم في جزء كبير من مصر " العليا، ولعل عدم العثور على أي أثار تعود لفترته في النوبة السفلى يرجع إلى أن المنطقة كانت ساحة للقتال بحيث دمرتها الجيوش المتنازعة (مسعود، 2008، صفحة 93).

وجاء بعده ابنه بيا (بعنخي) الذي تولى العرش عام 751 ق.م و خلفه من بعد شبتاكا 716 ق.م ، وكان اسمه يقرأ (بي) بينما اعتبر لفظ (عنخ) أمنية للحياة السعيدة، وهو عند المرويين مجرد إضافة للتمني بطول العمر (مسعود، 2008، صفحة 94). وهذا الاسم كان معروفة في مصر منذ نهاية الأسرة العشرين حيث حمله بعنخي بن حويحور أحد كبار كهنة آمون (صالح، 2004، صفحة 41). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صلة هؤلاء الملوك بهذه العائلة. كما حمل ضمن ألقابه لقب (منرع) وهو نفس اللقب الذي حمله ملك مصر تحتمس الثالث، بعد ذلك حمل اللقب الفرعوني المعروف باسم وسر ماعتع- سنفررع). وهذا لا يدل على أنه من أصل مصري، فمنذ قرنين على الأقل هاجرت بعض العناصر المصرية إلى النوبة واستقرت هناك حيث اندمجت مع السكان، والجائز أن بعض كهنة آمون الذين هاجروا، عقب تولي شيشنق الأول السلطة قد مارسوا نشاطهم الديني في النوبة. وتقاطيع وجهه تدل على أصله النوبي كما بينتها النقوش (السلامين، 2020، صفحة 223).

ليس هناك أية معلومات عن الفترة المبكرة من حكم بيا (بعنخى) فيما عدا ما يمكن جمعه من تلك اللوحة التي سجل عليها انتصاراته على ملوك مصر السفلي و الوسطى(حسن، 2001، صفحة 1). وكما هو الحال في كوش فقد تم تثبيته في العرش بعد انتخابه من قبل الكهنة وموافقة الشعب عليه، ثم يتناول بشيء من الغموض كيفية إنجازه عملية توحيد

كوش فيقول: "لقد منحني آمون نبتة السيادة على كل الناس، فمن أقول له أنت ملك يصبح ملكا، ومن أقول له أنت لست بملك لا يصبح ملكة. لقد منحني آمون طيبة السيادة على مصر، فمن أقول له تتوج ملكة يتوج ملكا، ومن أقول له لا تتوج ملكا لا يتوج ملكة. إن الآلهة تتوج الملوك، كما أن الناس يتوجون الملوك. أما أنا فقد توجني آمون (لكلان، 1985، صفحة 282) .

و ربما كان السبب الذي دفعه لغزو مصر لأنه كان على دراية بالمعتقدات المصرية و ما يتصل بها و عندما تسنى له الأمر بدأ في تطبيق الطقوس و المفاهيم الدينية المصرية بيقين تام و سعى لتأكيد حقه في الملك عن طريق الانتساب للآلهة و الادعاء بأن اختياره ملكا كان بفضلها ،فاتخذ ألقاب مصرية مختلفة حتى يكسب دولته في كوش و مصر على حد سواء القدسية المطلوبة عرفت ملوك نباتا عندما فتحوا مصر و حكموها بالأسرة الخامسة و العشرين و تبنوا الأفكار و النظم و العقائد الدينية المصرية لكنهم لم يكونوا في ذلك مجرد مقلدين انما كانوا حسب اعتقادهم ورثة حقيقيين لذلك الفكر الديني الذي تمت جذوره بصورة أو بأخرى لبلادهم و آلهتهم.

6-المظاهر الاقتصادية:

إن الحروب التي لاقتها مصر من الكوشيين أم من جراء الحملات الآشورية كان لها تأثير واضح على الحياة الاقتصادية سواء في مصر أو كوش، لكن النصوص الأثرية و رأسها لوحة بيا (بعنخي) التي تم العثور تشير إلى الرخاء الاقتصادي الذي كانت تعيشه مصر في ظل الحكم الكوشي . كما أن جبانتي الكسور وتوري تعدان من أهم المصادر التي يمكن من خلالها استخلاص ما كانت عليه البلاد الكوشية في تلك الفترة من رخاء وتقدم سواء في مجال الزراعة أم الصناعة أم الرعي، يضاف إليها التجارة، خاصة وأن بلاد النوبة كانت غنية بمعدن الذهب وبعض الأحجار الكريمة (حسن، 2001، صفحة 416).

كما تبرز لوحة بيا (بعنخي) من خلال الصور التي تحملها بأن معظم ثروة البلاد كانت تتحكم فيها فئة معينة و كأنها تشكل الطبقة الارستقراطية أو كبار رجال الدولة ، تتحكم في ثروة البلاد، لكن هناك عدة صور لذلك الثراء منها: الصورة للأمير تفتخت وهو يحث جنوده لكي يدافعوا عن مدينتهم منف قائلا: "تأملوا أن منف قد اكتظت بالجنود من خيرة من في أرض الشمال، ومخازنها تفيض بالشعير والبر وبكل أنواع الأسلحة، وإنها محصنة بجدار ويوجد فيها حظائر للماشية مملوءة بالثيران والخزانة مجهزة بكل شيء من ذهب وفضة ونحاس وملابس وبخور (مسعود، 2008، صفحة 144). ويشير هذا النص على تقدم الزراعة والصناعة وتربية الماشية.

و هناك أيضا وثيقة هامة تؤكد الحالة الاقتصادية الذي كانت تعيشه المملكة الكوشية، رغم الحروب التي خاضتها مع الأشوريين و تسببت فيه من خسائر مادية و بشرية، و هي وثيقة الكاهن الرابع منوحات صاحب المكانة المرموقة في الدولة خلال عهد الملك تهارقا وتانوت أماني وأستمر لغاية عهد الملك بسمتيك الأول، وهذا ما أكدته آثار مقبرته بطيبة على أنه كان من أثرياء المملكة، وأن قبره يضارع قبور بعض الملوك العظام، والدليل على ما كان يتمتع به من ثروة هائلة ما قام به من إصلاحات لمعبد الاشمونين بطيبة من جراء التخريب الذي وقع في عهد الأشوريين يضاف إلى ذلك تقديمه المعاونة والهدايا المتعددة الإلهية نينوكربس ابنة بسمتيك الأول لكي تصبح ابنة للمتعبدة الإلهية شبنوبت الثانية بدلا من امنرديس الثانية ابنة تهارقا (حسن، 2001، صفحة 418).

تعتبر التجارة مع مصر هي الدعامة الرئيسية للاقتصاد النبتي. حيث كانت تصدر لها الذهب و الحيوانات و الجلود، ويأتي الذهب على رأس صادرتها باعتباره السلعة الأولى التي اعتمد عليها النبتيون كمصدر رئيسي للدخل بالإضافة كالعاج، الحيوانات، الأبنوس، العبيد، الجلود، ريش النعام والذهب الذي تدل القرائن على وفرته، مثل المصنوعات الذهبية والجدران المزخرف بصفائح من الذهب، كما يستدل على وفرة الذهب بألواح تهارقا التي تبين أنه أعطى أكثر من 110 كيلوغرام من الذهب هدية للمعابد ، بالإضافة لنفش ناستاسن الذي ذكر فيه أنه جبي أكثر من 300 كيلوغرام من الذهب من القبائل التي هزمها بالقرب من مروي، وأخيرا رواية سفراء قمبيز لملك كوش الذين قالوا مبالغين إن السلاسل التي يقيد بها السجناء الكوشيين مصنوعة من الذهب (الله ا.، 2016، صفحة 55) .

بينما النشاط الزراعي في نبتة، ظل محل اختلاف الكتابات حول ندرته أو ازدهاره ، فمنهم من يري قلة المطر ومحدودية الأرض الزراعية التي تمتد على جانبي النيل لذلك لم يعتمد النبتيون عليه. أما الرأي الآخر يري أنه قامت في مملكة نبتة اقتصاد زراعي مزدهر خاصة في كرمة، نوري، الكوة ، صولب و العمارة، وذلك خلال الفترة من نشوء المملكة حتى القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت أهم المحاصيل التمور والكروم الذي كان محصورة في بساتين قصور الملوك وحدائق المعابد . وفي نقش تهارقا الكوة ذكر فيه أنه جلب خبراء مزارعين من بلاد الشام من أجل زراعة الكروم، وبعد ذلك تغيرت الأحوال المناخية وتعرضت النوبة السفلي لجفاف وزحف الرمال أثر على الزراعة والرعي فأصبح الاعتماد على النوبة العليا في الزراعة وتربية المواشي، ومن المحاصيل التي انتجت فيه الشعير، السمسم، القطن الذي يري بعض الكتاب أن النبتيين عرفوه قبل المصريين (الله ا.، 2016، صفحة 55).

ومن خلال المباني الدينية التي شيدها الملك تهارقا في بلاد النوبة و ما كلفته من أموال و عمال تؤكد لنا بأن النشاط الصناعي عرف حركة نشطة في مملكة نباتا، حيث أحضر العمال والفنانين وأصحاب الحرف من منف والبلاد المجاورة، والواقع أن ما جاء في وصف المعبد لا يوضح ما كانت عليه البلاد من تقدم في الفن والزراعة فقط، بل يشير كذلك إلى ما كان عليه ملوكها من سلطان على بلاد مصر (امة، 1968، صفحة 86).

7- المظاهر الدينية

لعبت سياسة تمصير التي تبناها ملوك الأسرة الثامنة عشرة و التاسعة عشرة في نشر الديانة المصرية في بلاد النوبة ، من خلال تشييد سلسلة من المعابد للآلهة المصرية و على رأسها الإله آمون،مع إرسال بعثات من الكهنة قصد نشر عقيدتها و ديانتها داخل المجتمع النوبي الذي تأثر بها كثيرا و قدس آلهتها ، وعلى رأسها الإله آمون، باعتباره سيد الوجهين القائم على جبل البركل المقدس ، الذي يكون مركز الإله آمون بعد طيبة (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 178).

7-1:الإله آمون: وهو من أعظم الآلهة في وادي النيل، سواء كانت محلية او غير محلية ، وقد عرفت بلاد النوبة منذ أن دخلت القوات المصرية النوبة العليا في عهد الأسرة الثانية عشرة ،واللافت للانتباه أنه مع تدهور مكانة آمون خلال العصر المتأخر في مصر، كان هناك اهتمام شديد به عند أهل نبته، يتبين هذا من خلال التعليمات التي أصدرها بيا (بعنخي)

لجنوده بأن يقدموا فروض الطاعة للإله آمون فور وصولهم إلى طيبة (مسعود، 2008، صفحة 146)،كذلك بالنسبة للملك تهارقا لم يهمل الاهتمام بالإله آمون، فقد كرس جهده لبناء معبد يليق به ولزوجته (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 179). يضاف إلى ذلك أن هذا الإله قد تلقب بأسماء أماكن شيدت بها معابد له مثل آمون نبته، إلى جانب ألقاب ووظائف عامة كامون معطي الملكية، آمون معطي وحامي المياه العذبة، كما نحتت له عدة تماثيل على هيئة كبش لكي تزين الطرق القريبة من مداخل معابده (مسعود، 2008، صفحة 147).

2-7: أهم معابده: نجد أن أهم المعلومات عن الدين النبتي وجدت في المعابد بعد التطورات التي طرأت على المعتقدات الدينية، وذلك نلاحظ ظهور المعابد كمؤسسات لا تقوم علي الحياة الدينية فقط إنما امتدت لتشمل الحياة السياسية والاجتماعية وتعتبر هذه المعابد من أهم الصروح المعمارية التي مازال الكثير منها إما في مكانها أو تم نقلها لمتحف الخرطوم، ولعبت هذه المعابد دورا مهما في التاريخ الديني والسياسي حيث أنها كانت تمثل المقر الرئيسي للسلطة الدينية.

1.2.7- معبد آمون:

ليس مؤكد بصفة قطعية أصل آمون أو الوقت الذي ظهرت فيه عبادته لأول مرة، والنظرية الشائعة أن أصله مصري وقد أرجع أصاب هذه النظرية آمون إلى الآلهة الخصب و التناسل ومؤسس المملكة المصرية ، ويعتقد آخرون أن أصله ليبي أو عربي آسيوي. لكن علي الرغم من ظهوره المتأخر لكن كان المصريون يعتقدون أنه أول إله ظهر علي الوجود وأنه كان مقيم بجبل البركل (الله س.، 1999 ، صفحة 189) .

يقع جبل البركل على الضفة الشرقية لنهر النيل بالقرب من مدينة كريمة حاليا وقد عرف عند القدماء بالجبل المقدس لأنه كان مسكن للإله النوبي ديدون تم أصبح مقرا للإله آمون منذ الدواة المصرية الحديثة. وقد استمرت قداسة هذا الجبل لدى أهل نبتة ومروى من بعدهم دون انقطاع وقد شيد معبد أمون الكبير في الجانب الجنوبي الشرقي للجبل بواسطة المصريين في الدولة الحديثة وقد أعاد الملك بيي تأسيسه وزخرفته بجزء كبير من الغنائم التي جمعها من مصر ولكن المعبد أخذ شكله النهائي في عهد الملك تهارقا الذي اهتم بترميمه وصيانته ولكن رغم الإضافات التي قام بها النبتيون إلا إن الطابع العام هو الطابع المصري خاصة علي مستوي الزخرفة (يوسف، العدد 9، صفحة 145) . ويعتبر معبد آمون بجبل البركل هو المركز مما جعل كهنته يشغلون العديد من المناصب الإدارية من غير الدينية وسعوا لإيجاد الحماية من الأمراء وفي عهد الملك بيي ارتقي الإله آمون وأصبح عبادته الديانة الرسمية للأسرة النبتية الحاكمة .وقد أظهر الملوك النبتيون بدءا من بيي تقديسا وحبا شديدين للإله آمون عبروا عنه في وثائقهم بالعبارات مباشرة او غير مباشرة في أسمائهم الرسمية أو ألقابهم وعبروا عن حبهم وتقديسهم أيضا بالإنفاق في تشييد المعابد له ومدها بكل ما تحتاجه(الله س.، 1999 ، صفحة 190).

2.2.7 :معبد آمون صنم أبو دوم:

يقع معبد صنم أبو الدوم في الضفة الأخرى للنهر على الجنوب قليلا من جبل البركل وتعتبر هذه المنطقة مركزا هاما لدولة نبتة وبعدها مروي، وقد بنى تهارقا معبدا هاما أهداه للإله آمون وهذا ما يجسد تمسك الملوك بالإله آمون (زكى، 1983 ، صفحة 129).

يمتاز معبد آمون بصنم أبو دوم بكبر حجمه ويمكن الدخول إليه عبر بوابة ضخمة وبعدها صالة بها العديد من الأعمدة ثم توجد بوابة بداخل المعبد ومحراب محاط بغرف عديدة وقد شيد في مروى ليحل محل آمون بنبته وربما أصبح هو المعبد في الفترة الأخيرة وأصبح ينافس معبد آمون بنبته ويبلغ طوله حوالي 450 قدم(زكى، 1983 ، صفحة 44).

3.2.7 :معبد تهارقا : تقع الكوة إلي الجانب الجنوبي مدينة دنقيلا شرق النيل ويعتبر من أهم المراكز الدينية وقد حظيت هذه المنطقة باهتمام الملوك الكوشيين وقد تكرموا عليها أقاموا فيها معبدا آمونيا وقد أضيف معبد أخر بمحاذاته أما المعبد الآموني الرئيسي الذي شيد للإله آمون وشيده تهارقا، و هو يحمل مناظر للملك تهارقا يعانق الإله حورس ،و له مشهد آخر يقدم فيه القرابين وهي عبارة عن عجول ملونة للإله آمون (الله س.، 1999 ، صفحة 79) .

7-3- النظام الكهنوتي:

يتكون النظام الكهنوتي في مملكة من أربعة كهان .الكاهن الأول هو رئيس النظام ليه الثاني والثالث و الرابع، كما يوجد بعد ذلك منصب لمساعد الكهنة تورث هذه المناصب أبا عن جد وفي حالات نادرة يخلد المنصب الكهنوتي لعدم وجود وريث شرعي فيقوم الملك بتعيين شاغل جديد للمنصب وعندما يكون السلطان غير موجود يتحول سلطانه للكاهن الأول لكن بوجود الملك فانه بإمكانه القيام بكل الأدوار الموكلة للكاهن الأول .

وخير دليل على ذلك قيام انلامي بتعيين أربعة من أخواته في منصب عازفة الصلصال للإله آمون واحدة بمعبد ثورتاستي، والثانية في منصب البركل والثالثة بالكوة والرابعة بمعبد تابو وفيما بعد قام بتعيين أخته الأميرة ماديقان وذلك على طريقة التبني ليس ذلك فحسب بل ان أسبلتا اصدر وثيقة رسمية حدد فيها مخصصات واستحقاقات الأميرتين في المعبد المذكور (الله س.، 1999 ، صفحة 192).

إن سلطة الملك في مملكة نبتا تشمل السلطة الدينية ولو نظريا ولقد اقترح الباحث بريسه، ان الملك أسبلتا قد شغل منصب الكاهن الأول والدليل على ذلك إننا لا نجد اسم منصب الكاهن الأول ضمن أسماء الكهنة والشهود الموقعين في نقش الأميرة ماريفان (مهران، ا لحضارة المصرية القديمة ، 1979، صفحة 353). و هناك بعض الملوك النبتيين كانوا يخضعون لطقوس يجريها عليهم الكهان بعد تتويجهم وعليه لابد أن هؤلاء الملوك كانوا يعتقدون بأهمية هذه الطقوس لبقائهم في السلطة آو حتى لبقائهم أحياء ومن هنا يبدأ اعتمادهم على الكهنة وتصديقهم لكل ما يصدر منهم من أمور وهذه النوعية من الملوك الكوشيين الضعفاء الذين يقعون تحت تأثير الكهان. لكن الملوك الأقوياء لا يسمحون بالخضوع لسلطة

الكهنة، حيث أثبتت الدراسات الأثرية لنا من خلال ثراء مقابر الكهنة التي تعادل أحيانا المقابر الملكية على المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها الكهنة و نظرا للعلاقة الطيبة و مصالح التعاون بينهم (زكى، 1983 ، صفحة 55).

4-7 الطقوس المرتبطة بالآلهة في نبته:

و هي التي تنحصر أساس في طقوس الاختبار للملوك وطقوس التتويج.

1.4.7 طقوس الاختيار: توجد مجموعة من اللوحات الملكية والتي تعد المصدر الرئيسي لمعرفتنا لعملية اختبار الملوك كلوحة النصر للملك بي، ولوح الانتخاب للملك أسبلتا يعد نموذجا جيدا يلقي الضوء خاصة على تتويج الملك في كوش .

وجد لوح الملك أسبلتا في جبل البركل داخل معبد الإله أمون الرئيسي ولقد احتوى هذا اللوح على ثلاثين سطرا كتبت بالهيروغليفية ، حيث وصف أسبلتا في بداية هذا النص موقف البلاد بعد وفاة أخيه انلامني وقبيل اختياره ملكا. قام على إثرها العسكريون وكبار المسؤولين عن خزائن القصر الملكي والإداريين بأخذ الأموال على أيديهم فخاطبو الناس "تعالوا الآن نتوج سيدا ، لا ننافسه قطيعا بدون راع". واستمر الخطاب بين الناس على نحو مدح الإله حتى اجهش الجميع بالبكاء ثم صاحوا اله أمون رع سيد عرش البلاد هو موجود بالجبل المقدس دعونا نذهب إليه دعونا لا نقوم بشيء بدون علمه (زكى، 1983 ، صفحة 246) .

بعد التمعن في هذه الفقرات نلاحظ مدى الذعر النفسي والضياع الذي سببه موت انلامي وبعدم وجود خليفة معترف به على العرش ويبدو أنهم كانوا يبحثون بشكل مضني عن وريث مناسب للملك نظرا لأهمية الملك في خلق التوازن والاستقرار والأمان للشعب وان هذه الحالة هي نموذج في تتويج الملوك في إفريقيا والتي تختلف فيها اختبار الملك عن طريقة الاختبار الفرعوني. حيث ادعى الملك أسبلتا انه عندما عجز الناس عن تحديد الملك برغم انه موجود بينهم لجأوا بأمرهم إلى الإله أمون واستشاروه إذن أهل كوش كانوا يستشيرون لملكهم الإله فكانوا يستخدمون طقس استشارة الإله أمون في عملية اختيارهم لملكهم الجديد كإجراء طقسي لا يمكن تجاوزه أما المصريون فكانوا يستخدمون طقس استشارة الإله أمون في اختياره للكهنة أكثر من كونه يستخدم في اختيار الملوك الذين يستندون على الوارثة وهذا شيء يؤكد الرأي القائل بالأصل الكوشي لأهل معبود في العصور القديمة (الله س.، 1999 ، صفحة 233).

ان هذا الادعاء له أهميته السياسية و الوطنية، إذ يؤكد الرسوخ والاستمرار في تتويج الملوك طالما إن الإله أمون هو الذي يتولى هذه المهمة ، ونحن ندرك تماما مدى إيمان واحترام أهل كوش لعقيدة أمون. ولما اقتنع الإداريون إن مهمة اختيار الملك ليس من اختصاصهم وإنما هي موكلة لأمون وحده وحينما المرسول إلى معبد أمون بجبل البركل ، وجدوا الكهنة في انتظارهم في بوابة المعبد وقد تم إرسال إخوة الملك انلامي ، المرشحين لولاية العرش ليخضعوا إمام الإله أمون ، ولكن

رفضوا أن يقوموا باختيار احدهم حينما قام المرسول باختيار أسبلتا أرسل وحده لكي يصدق أمون على اختياره. ملكا على الكوش (زكى، 1983 ، صفحة 52).

2.4.7 :طقوس التتويج: بعد الفراغ من عملية اختيار الملك وهي بمثابة المرحلة الأولى لتتويج الملك الجديد تبدأ المرحلة الثانية وهي عبارة عن احتفالات طقسية يقوم فيها العاهل المنتخب برحلات طويلة إلى المراكز الدينية الهامة في شمال المملكة تسمى برحلات التتويج وكان الهدف من هذه الرحلات زيارة المعابد الآمونية الهامة من اجل الحصول على الرضا والموافقة من الآلهة وتعزيزا لفكرة اختبار الملك من قبل أمون. كانت هذه الرحلات معروفة لدى ملوك كوش وترجع أصولها للمملكة نبته الأوائل ، ولكن الثابت أن الملك تانوت آماني (664-656 ق.م) الذي خلف تهارقا، قد ذكر لنا في لوح الحكم انه قام بهذه الرحلة التي بدأها من مكان ما إلى الجنوب من نبته برفقة جمهرة من الناس ...بالإضافة إلى هذا هناك ألواح ملكية عديدة ألقت الكثير من الأضواء على تفاصيل هذه المرحلة الطقسية والاحتفالية وما يتم أثناءها من طقوس تمارس داخل المعابد المقصودة بهذه المرحلة (زكى، 1983 ، صفحة 222) .

كانت رحلات التتويج تتم بأربعة معابد هامة جدا أولها معبد أمون الرئيس بجبل البركل بحيث يتسلم الملك التاج الذي استخدمه أسلافه من حجرة محراب المعبد ثم بعد ذلك يقوم الملك بزيارة المعابد الآمونية الأخرى .

ومن الطقوس التي كانت تؤدى أثناء عملية التتويج في المعابد طقس إخراج الإله من المعبد وطقس تقديم القرابين والهدايا للمعابد وأيضا كان الملوك يقومون بصيانة المعابد وترميمها ...إضافة إلى ذلك يؤدي الملك شعيرة هامة وهي الاعتكاف في المعبد لعدة أيام ويضل بصلي باستمرار من اجل أن يعفو عنه اله.وكان للام الملكية دور حاضر في عملية التتويج وقد حرص ملوك كوش على استدعاء أمهاتهم لحضور ومشاهدة ذلك الحدث (مهران، ا لحضارة المصرية القديمة ، 1979، صفحة 113) .

مما سبق يتضح للباحث أن دولة كوش دولة دينية في المقام الأول بحيث لا يمكن لآهل كوش أن ينصبوا ملكا إلا بعد موافقة الإله أمون ونحن ندرك فعليا أن الموافقة عي موافقة الكهنة، ولابد أن يكون هناك تنسيق بين الكهنة من جهة وكبار العسكريين والإداريين من جهة أخرى (مهران، ا لحضارة المصرية القديمة ، 1979، صفحة 117) .

8.المظاهر الفنية:

ترجمت الأعمال الفنية بمملكة نباتا في معالمها الحضارية التي تتمثل أساسا في العمارة من خلال مواد البناء و الهندسة و النقوش التي تحملها، وإن أهم ما خلفه الكوشيون من منشآت مسمارية هي المعابد، أو ما يطلق عليه العمارة الدينية، والمعابد الجنائزية والمقابر، وهو ما يطلق عليه العمارة الجنائزية، بينما يطلق على المنازل العمارة المدنية، ويبقى الأثر المصري القديم ذو ملامح واضحة في حضارة النوبة كما هو الحال في جميع نواحي الحياة الأخرى (بكر ا.، 1994، صفحة 164).

إن المعبد كان يبني من الحجر أو ينقر في الصخر، على العكس من بيوت المدنيين التي تبني في الغالب من اللبن، لأن الحجر هو مادة الخلد في البناء وهو مناسب لحياة الآلهة السرمدية، بينما اللبن هو المناسب لحياة البشر الزائلة ، وتعد بلاد النوبة السفلى من أغنى المناطق بالآثار، فهي تحتوي على عدد من المعابد والأهرامات (المنعم، 1993، صفحة 188) معظمها محفورة في باطن الحجر فيها من روعة الفن وجماله ما يدل على عراقة الحضارة.

ومع تمصير بلاد النوبة عصر الدولة الحديثة انتشرت العناصر المعمارية المتأثرة بالعمارة المصرية كالمقابر الصخرية أو التي على شكل أهرام صغيرة. ويتضح ذلك من خلال النشاط العمراني الذي أمر به تهارقا في معبد الكرة الذي لم يبق منه إلا بقايا قليلة (بكر ا.، 1994، صفحة 166) ، ولا يفوت أن أذكر ما قام به الفنانون المصريون من دور بارز في نشر الفنون ذات الطابع المصري في ربوع كوش، فقد ذكرت إحدى نصوص اللوحات التي عثر عليها في الكرة أن فناني من هم الذين سأهموا في بناء معبدها، كما أسهموا في بناء وتجميل معبد آمون العظيم على جبل البركل (مسعود، 2008، صفحة 149) .

وخلال حكم الأسرة الخامسة والعشرين انتشرت المقابر الهرمية بشكل ملفت في أنحاء النوبة في القوة ونوري وجبل البركل وغيرها من الأماكن التي امتد إليها التأثير المصري، وكلها أدلة تشير إلى تمسك أهل النوبة بعقائد وفنون الحضارة المصرية. يضاف إلى ذلك عدة تزيين الأذن بالأقراط التي يعتقد أنها وصلت إلى مصر من جيرانهم في الجنوب، بدليل صورة للملك شبتاكا، وأخرى للملك تهارقا يظهر برباط الرأس، والتاج المزدوج يعلو رأسه، بالإضافة إلى نوع من الأقراط الملكية على شكل رأس الكيش بقرص الشمس أو بدونه للملك تانوت أماني ظهرت في نقوش معبد أوزير بالكرنك. ومما يؤكد بان العادة السالفة الذكر مصدرها أهل النوبة ما عثر عليه برنتون من أقراط استخدمتها مجموعة من و المحاربين السود الذين استعانت بهم الدولة المصرية من الأسرة السابعة عشرة (مسعود، 2008، صفحة 149).

أما بالنسبة لما يطلق عليه بالأهرامات، التي تنتشر بكثرة في بلاد النوبة ، لأنهم كانوا يعتقدون أن ملوكهم آلهة إحياء ولما يموتون هم وملكاتهم لابد من دفنهم في مدافن عظيمة. وعلى الرغم من أن التقليد الذي يحتم تشييد الأهرام كمدافن للملوك لم يعد له وجود بعد انتهاء الدولة الوسطى، نجده يرجع مرة ثانية للوجود تحت حكم ملوك نبته زمن الأسرة الخامسة والعشرين، حيث أعجب فراعنة التوبة من تلك الأهرامات التي كانت ولا تزال بحالة جيدة تقف على أرض مصر بشموخها، فتأثروا بها في الوقت الذي كان فيه الطابع المصري يغلب على ديانتهم (مسعود، 2008، صفحة 150).

وتلك الأهرامات هي عبارة النوبة عن معابد ومدافن الملوك النوبة القدماء، وبالتالي فهي أماكن مقدسة خاصة تلك الموجودة في جبل البركل الذي أطلق عليه اسم دوواعب، ومعناها باللغة المصرية القديمة الجبل المقدس أو الطاهر (الجمل، 1999، صفحة 174) ، ولكنها لا تقتصر على الملوك والملكات كما هو الحال في مصر، فقد بنيت أيضا كمدافن للأمراء والأميرات من أعضاء البيت المالك. وهي أقل حجم من الأهرامات المصرية (فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها ، 2002، صفحة 185).

انتشرت هذه المدافن في مراحل متأخرة من حضارة نباتا و بداية الحضارة المروية (350 ق م – 350م) ، كما عرفت انتشار لنوع من المعابد تعرف معابد الأسد، وقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب الكثرة الواضحة في وجود أشكال الأسود

سواء المسجلة على جدران المعابد، أم تماثيل تقف حارسة عند مدخل المعبد، وقد ارتبطت معابد الأسد في مملكة مروى بالمعبود المروي الأصل أبدماك. كما أن الفنان قام بتصوير هذا الإله في عدة هيئات وأوضاع مختلقة أهمها تصويره في هيئة ثعبان كبير له رأس أسد ويدان آدميتان، وعلى رأسه تاج مركب ، كما صوره على أنه إله الحرب، ويستدل على ذلك من الصفات التي ألحقت به، ومن تصويره على شكل أسد يقف في مقدمة صف من ستة آلهة وهو يحمل قوسا وأسهما في يده اليسرى ويمسك و بحبل قيد به أحد الأسرى ويكفي أنهم شيدوا له معبدا في المصورات الصفراء (مسعود، 2008، صفحة 151).

ويلاحظ في بعض المناظر الأخرى أن الفنان النبتي قد صور الملك تهارقا في صورة أسد يدهس الأعداء رمزا للقوة والانتصار كما وجدت صور لملكات وهن يقمن بالقبض على ناصية الأعداء وقتلهم بسهامهن، مما يشير إلى أن تلك المناظر كانت تعبيرا عن اشتراك فعلي للملكات في حروب حقيقية(لكلان، 1985، صفحة 292). وهذا ما أكدته الملكة (الكنداكة) في مملكة مروي عندما كانت قائدة للجيش في الحملة التي قامت بها على الحاميات الرومانية في مصر (لكلان، 1985، صفحة 292). إذن فالمناظر المسجلة السالفة الذكر أن دلت على شيء فإنما تدل على مدي الترابط القديم والمستمر بين سكان وادي النيل في شماله وجنوبه.

و نستنتج ما سبق أن المصريون القدماء كانوا على دراية بالقوة البشرية و المادية التي يتمتع بها الكوشيين ، و إنهم بمقدورهم الوقوف ندا لهم ، ما دفع ملوك الدولة الحديثة إلى تمصير بلاد النوبة بشقيها السفلى والعليا خاصة من الناحية الدينية و الثقافية باعتباره العنصر الوحيد الذي يمكن بواسطته تأمين المنطقة لثقافة المصرية و جعلها في حالة تبعية و ولاء للملك المصري . كما أن تلك السياسة المصرية أتت بثمارها فيما بعد ، فلما أسست مملكة نباتا سعى ملوكها إلى التوسع على مصر بغرض حماية عقيدة الإله آمون و كأنهم منحوا لأنفسهم شرعية خلافة المصريين في الحكم بدل الأجانب الليبيين ،و لهذا نجد أن بعنخي و طهرقا أكثر ملوك نباتا (كوش) من الانجازات العسكرية و تشييد المعابد ، لذا انتشرت المقابر الهرمية بشكل كبير في بلاد النوبة ، و هذا ما دل على أن الحياة الدينية و المعمارية في نباتا كانت أكثر ارتباطا بالحضارة المصرية .

9.قائمة المراجع

1-المراجع العربية :

1-احمد ابراهيم بكر. (1994). *صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم* . القاهرة : مطبعة القاهرة و الكتاب الجامعي.

2-أحمد أمين سليم. (1991). *دراسات في حضارات الشرق الأدنى (حضارة مصر القديمة)* . الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

3-الصادق القسيم فرحنا حمدت الله. (2016). *السمات الكوشية في النحت الفرعوني*. السودان: كلية الدراسات العليا ،جامعة السودان للعلوم.

4-إيتين دريوتون وجاك فانديه. (د.ت). مصر. (عباس بيومي، المترجمون) القاهرة: مطبعة النهضة المصرية.

5-جان يوبوت. (1966). *مصر الفرعونية* . (سعد زهران، المترجمون) القاهر : د.ن.

6-جمال الدين عبد الرزاق عبد المنعم. (1993). *الصرح في مصر ومروي (حوالي 1550 ق.م - 350م)* . القاهرة: مركز البحوث والدراسات الإفريقية.

7-حندوقة إبراهيم فرج. (1992). *دور الحيوان في الحضارة المروية*. القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية .

8-حندوقة إبراهيم فرج. (2002). *نماذج من الحضارات الافريقية القديمة و آثارها* . القاهرة: د.ن .

9-خميس محمد مسعود. (2008). *النوبة و مصر القديمة ابان حكم الاسرة الخامسة و العشرين* . ليبيا: جامعة المرقب.

10-رمضان عبده علي السيد. (2001). *تاريخ مصر القديم* . القاهرة: دار نهضة الشرق.

11-سامية بشير دفع الله. (1999). *تاريخ الحضارات السودانية القديمة*. الخرطوم : دار هايل للطباعة و النشر.

12-سليم حسن. (2001). *موسوعة مصر القديمة (تاريخ السودان إلى أوائل عهد بعنخي حتى نهاية الاسرة الخامسة و العشرين)*. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

12-شوقي الجمل. (1999). *الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ* . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

13-عبد العزيز صالح. (2004). *الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)*. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

14-على أحمد قسم السيد. (2016). *السمات الكوشية في النحت الفرعوني لفترة حكم الأسرة الخامسة و العشرين* . السودان: كلية الدراسات العليا جامعة السودان.

15-عمر الحاج زكى. (1983). *الاله آمون في مملكة مروى(750ق م –350م)* . السودان: مطبعة كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم.

16-فوزي فهيم جاد الله. (1968). *مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودت* . بنغازي: منشورات الجامعة الليبية.

17-لكلان. (1985). *تاريخ إفريقيا العام (إمبراطورية كوش - نباتا و مروي)*. د.م: اليونسكو.

18-محمد ابراهيم بكر. (1983). *تاريخ السودان القديم*. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.

19-محمد أبو المحاسن عصفور. (د.ت). *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم*. بيرووت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر.

20-محمد بيومي مهران. (1979). *ا لحضارة المصرية القديمة* . الاسكندرية: دار المعارف.

21-محمد بيومي مهران. (1988). *مصر منذ قيام الدولة الحديثة حتى الأسر الحادية والثلاثيين مصر والشرق الأدنى القديم*. دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية.

22-محمد عبد القادر محمود عبد الله. (1987). *السودان منذ الخادم تاريخه وأثاره، اللغة المروية* . الرياض: مطابع جامعة الملك سعود.

23-محمد مصطفي باز امة. (1968). *تأثر الليبيين في الحضارتين المصرية واليونانية* . بنغازي: منشورات الجامعة الليبية.

24-مريم عبد السلامين. (2020). *العلاقات التاريخية الحضارية بين مصر و الدول المجاورة في عهد الملوك الليبيين* . الجزائر: قسم التاريخ ، الجزئر 2 .

25-مصطفى محمد مسعد. (1960). *الاسلام و النوبة في العصور الوسطى* . القاهرة: مطبعة الانجلو مصرية.

26-مهدي عبد الرحمان.عبد الله زوبير يوسف. (العدد 9). الثأثيرات الخارجية علي معتقدات اهل كوش . *مجلة النيل للبحوث والدراسات* ، 145.

27-نجيب ميخائيل. (1966). *مصر من قيام الدوله الحديثة إلى دخول الإسكندر*. الاسكندرية: دار المعارف .

28-نيقولا جريمال. (1993). *تاريخ مصر القديمة*. (ماهر جويجاني، المترجمون) دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع: القاهرة.

2-المراجع الأجنبية :

1-Henry, B. J. (1945). *A history of Egypt from the earlist times to the Persian conquest* . New York: charles scribner 's sons.

2-Holscher, W. (1937). *Libyan and Egyptian.*Hamburg: w.p.